

العربية في جنوب الجزيرة العربية حتى ظهور الإسلام الحلقة الأولى - نقوش المسند

أ.د. رفعت هزيم*

مهتد:

لم يكن المتقدّمون من اللغويين يتصوّرّون أنّ العربيّة الفصحى يُمكن أن تسبق - من حيث الزمان - العصرَ الجاهلي، وأنّ تتجاوز - من حيث المكان - الحجازَ إلى جنوبي الجزيرة العربية، وقد عبّر أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ عن ذلك بعبارة المشهورة: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا!»، وما زال هذا المذهب يجد قبولاً لدى بعض الباحثين المحدثين الذين يرون أنّ «اللغات اليمنية القديمة مستقلة تمام الاستقلال عن اللغة العربية [الفصحى]... بل إنها ليست من اللغة العربية في شيء!»، ويزعمون أنّ «تقارب بعض الألفاظ وتشابه بعض القواعد ليس إلا كتقارب الألفاظ وتشابه القواعد بين عربيتنا الفصحى من ناحية والسريانية والعبرانية من ناحية أخرى!».

(*) رئيس قسم اللغات الشرقية بجامعة اليرموك (الأردن) سابقاً، ورئيس قسم اللغة العربيّة بجامعة تعز (اليمن) سابقاً.

ويرجع إنكار عروبة لغة اليمن القديم ولهجاته إلى جهل المنكرين بها، وإلى افتراضهم أن الأدب الجاهلي هو أقدم ما وصل إلينا مصوغاً بالعربية، وإلى ادّعائهم أن موطن نشأة الفصحى هو الحجاز لأنّ الفصحى عندهم هي لهجة قريش^(١). ولكن القراءة المتأنية للمصادر اللغوية والتاريخية تثبت أنه كان للعرب في شمالي الجزيرة العربية وجنوبها لهجات عربية مكتوبة وأخرى محكية منذ القرن السابع - أو الثامن - قبل الميلاد. ولذا رأيت أن أقدم للقارئ الكريم بحثاً في قسمين يوضح هذه المسألة، ويسهم في تاريخ العربية قبل نشوء الفصحى وتكوّنها، ويبين الروابط بينها وبين اللهجات العربية التي سبقتها أو عاصرتها في صدر الإسلام، فأما الأول فإنه يُعرّف بالعربية في جنوبي الجزيرة العربية التي وصلت إلينا في نقوش على الحجر أو المعدن سمّاها المتقدّمون «نقوش المسند»، أو في كتابات على عشب النّخل وأعواد الخشب سمّوها «زبر حمير»، أو في نصوصٍ قالوا إنها مكتوبة بـ«اللسان الحميري»، مع بيان صلة هذه الأضراب بعضها ببعض وكذلك صلتها بالفصحى، وأمّا الثاني فإنه سيُعرّف - وفق المنهج نفسه - بعربية النقوش التي تركها لنا عرب الشمال في بلاد الشام وأطراف بلاد الرّافدين وفي شمالي الجزيرة العربية وشرقيها، ويشمل المجموعات الأربعة المعروفة وهي: الثمودية والصفائية والحيانية والأحسانية، وما يلحق بها من النقوش.

١- نقوش المسند

كان عرب جنوبي الجزيرة العربية يستعملون في الألف الأول ق.م لغة

(١) انظر بحثاً للمؤلف بعنوان «هل الفصحى لغة قريش؟» في: النقوش العروبية القديمة، مجمع اللغة العربية/ ليبيا ٢٠٠٧م.

عربيةً مكتوبةً تُنقشُ بخطَّ المسند على الأحجار أو المعدن يُسمّون ما يُدوّن بها «نقوش المسند»^(٢)؛ أو تُحفّر بخطَّ الزبور على عُشب النخل وأعواد الخشب يُسمّون كتاباتها «زُبر حمير»، وكانوا يتكلمون لهجات لا نعرف مدى قربها أو بعدها من تلك اللغة المكتوبة لأنه لم يصل إلينا منها شيء. وكان لإخوانهم عرب الشمال وبلاد الشام وبلاد الرافدين لغتهم العربية المنقوشة على الصخور وكذلك لهجاتهم الخاصة بهم. ولا شك أن اختلاط الفريقين أي عرب الجنوب وعرب الشمال على امتداد القرون في تجارتهم وفي هجراتهم وتنقلاتهم المستمرة شمالاً وجنوباً في أرجاء المشرق العربي أدّى إلى تأثير لغويّ متبادل بينهما أسهم في نشأة الفصحى وتكوّنها. وتابعت هذه اللغة المشتركة الجديدة تطورها حتى اكتملت وازدهرت في القرنين السابقين لظهور الإسلام على النحو الذي نراه في الأدب الجاهلي، وتزامن ذلك في جنوبي الجزيرة مع توقف كتابات عرب الجنوب توقفاً تاماً بعد انتهاء مدة الحكم الحبشي لليمن. ثم نزل القرآن الكريم بالفصحى، فعلاً شأنها وارتفعت مكانتها، وأصبحت لغة الدولة الإسلامية، فأتاح لها ذلك أن تنتشر في كل أمصار الدولة، فقصت على بعض اللغات واللهجات فيها وأجبرت بعضها الآخر على التقهقر والانحسار. وأقبل اليمنيون - كغيرهم من العرب - على كتاب الله الذي لم يعرفوا له من حيث لغته وأسلوبه ومضمونه مثيلاً من قبل، وشغل أهل اللغة والتفسير والفقهاء بتفسيره وشرحه لينشأ عن ذلك ما عُرف فيما بعد باسم «علوم القرآن»، فانصرفوا عن النقوش حتى بعد العهد بها وصارت عندهم شبه مجهولة، ذلك

(٢) ويسمّيها المستشرقون Monumental Inscriptions. وقد وردت كلمة msnd «مسند» في

السبئية بمعنى «نقش».

أَنَّ النَّظْرَ فِيهَا أوردَه الهمداني وغيره عن النقوش يدلُّ على أنهم «لم يكونوا يعرفون لغاتها معرفةً يقينيةً، وإن كانوا قد عرفوا معظم حروف الخط المسند وكذلك بعض خصائص لغات النقوش»^(٣)، أما الاعتقاد أنَّ لغة تلك النقوش هي الحميرية فهو خطأً شائعاً لأنَّ المقارنة بينها وبين النصوص الحميرية المروية تثبت أنها شيئان مختلفان.

- اكتشاف النقوش:

وكان علينا الانتظار حتى أوائل القرن التاسع عشر لنشهد اكتشاف الأوربيين للنقوش، فقد كانوا يجوبون المشرق العربي من أقصاه إلى أقصاه بحثاً عن شواهد لما ورد ذكره في المصادر القديمة ولاسيما «العهد القديم» من أحداث وأشخاص ووقائع، فكانت النقوش - بلغاتها المختلفة - إحدى ثمار ذلك البحث. والراجح أنَّ الباحث الألماني (von Seetzen) الذي قام برحلةٍ إلى اليمن حينذاك كان أوَّل من أرسل نقوشاً من هناك إلى أوربة قبيل مقتله في مدينة تعزٍ أواخر عام ١٨١١. وقد استطاع عشرات من الباحثين والمغامرين المنتمين إلى جنسيات مختلفة الذين زاروا المنطقة أو عملوا فيها في العقود التالية اكتشاف كثير من المواقع الأثرية والتنقيب في بعضها ونسخ آلاف النقوش من بقاعٍ شتى في جنوبي الجزيرة العربية، وكان من أكثرهم نجاحاً الفرنسي (Halévy) الذي نسخ زهاء ٧٠٠ نقش في رحلته عام ١٨٧٠، ثم النمساوي (Glaser) الذي نسخ زهاء ٢٠٠٠ نقش في أربع رحلات بين عامي ١٨٨٢ - ١٨٩٤، ثم أرسلت أكاديمية العلوم في فيينا بعثة علمية إلى المنطقة برئاسة (D.H.Müller) عام ١٨٩٨. أمَّا النصف الأوَّل من القرن العشرين فكان أشهرَ فرسانه

(٣) نامي، خليل، دراسات في اللغة العربية، القاهرة ١٩٧٤، ص ٤٦.

الباحثون الثلاثة (von Wissmann) و (van der Meulen) و (C. Rathjens) الذين حققت رحلاتهم المتعددة بدءاً من عام ١٩٢٧ نجاحاً عظيماً. وبدأ إسهام المتخصصين من الباحثين العرب في هذا المجال بمشاركة خليل يحيى نامي في بعثة علمية أرسلتها جامعة القاهرة إلى اليمن عام ١٩٣٦، ثم زيارة مماثلة لزميله أحمد فخري عام ١٩٤٧. وشهدت بداية النصف الثاني من هذا القرن إرسال «المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان» فريقاً علمياً ضمَّ (W.F. Albright) و (A.M. Honeyman) و (A. Jamme) وآخرين للقيام بأعمال الاستكشاف والتنقيب ونسخ النقوش. على أن هذه الأعمال شهدت تطوراً كبيراً بعد أن نالت اليمن - بشطريها - الاستقلال، إذ أقامت فرنسا وألمانيا وإيطاليا والاتحاد السوفيتي ودول أخرى مراكز علمية دائمة في صنعاء وعدن لتمكين الباحثين من العمل بدون انقطاع بالتعاون مع زملائهم في الجامعات والمؤسسات العلمية اليمنية.

-قراءتها ودراسنها:

والطريف أن أول محاولة لقراءة هذه النقوش عدتها نقوشاً قبورية كوفية، في حين ظن بعضهم أنها مكتوبة بشكلٍ من أشكال الخط المسماري. غير أن (W. Gesenius) وزميله (E. Rödiger) - اللذين كانا يُدرّسان اللغة العبرية في جامعة (Halle) الألمانية - تمكّنا في عام ١٨٤١ معتمدين على (١٣) نقشاً فقط من قراءة (٢٣) حرفاً من حروف الخط العربي الجنوبي الـ (٢٩) قراءة صحيحة. ثم نُشرت في العقود التالية ثلاث دراسات موجزة عن قواعد لغة النقوش؛ أولها بالألمانية لـ (E. Osiander) عامي ١٨٦٥-١٨٦٦، والثانية بالفرنسية لـ (Halévy) عامي (١٨٧٣-١٨٧٤)، والثالثة بالإنكليزية لـ (W. Prideaux) عامي (١٨٧٦-١٨٧٧)، مما يدلّ على أن فك رموز الخط اكتمل واستقرّ آنذاك. أمّا أول كتابٍ

يتضمّن مختارات من النقوش ودراسة شاملة للغة فقد نشره (F. Hommel) بالألمانية عام ١٨٩٣، ثم حذا حذوه (Conti Rossini) في كتاب نشره بالإيطالية عام ١٩٣١. وأمّا أول كتاب بالعربية في هذا المجال فهو «المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة» الذي نُشر عام ١٩٣٠؛ وهو ترجمة بحث بالإيطالية بالعنوان نفسه نشره (I.Guidi) عام ١٩٢٦. وقد وسّعت أكاديمية النقوش والفنون الجميلة في فرنسا مشروع «مدوّنة النقوش الساميّة (CIS)» الذي شرعت في إصداره باللغة اللاتينية عام ١٨٨١، فأضافت إليه حلقة رابعة خاصة بالنقوش اليمينية القديمة (CIH) نشرتها في أربعة مجلدات في الأعوام: ١٨٨٩ و ١٩١١ و ١٩٢٩ و ١٩٣١. وتزامن مع ذلك مشروع «سجلّ النقوش الساميّة (RES)» الذي بدأ صدوره باللغة الفرنسية عام ١٩٠٠، فخصص ناشروه ثلاثة مجلدات منه للنقوش العربية الجنوبية هي: الخامس (١٩٢٩) والسادس (١٩٣٥) والسابع (١٩٥٠) ثم ألحقوا به مجلداً ثامناً (١٩٦٨) جعلوه فهرساً لها. ثم حلّ محلّ هذين المشروعين الكبيرين مشروعٌ ثالث بعنوان «مدوّنة النقوش والآثار العربيّة الجنوبيّة» (CIAS)، وقد صدر المجلد الأوّل منه عام ١٩٧٧، ثم المجلد الثاني عام ١٩٨٦.

واستعمل المستشرقون تسميات متعددة لتلك النقوش، كـ«الحميريّة» و«السبئية» و«السبئية المعينية» حتى انتهوا إلى تسميتها الحالية «العربية الجنوبية القديمة (Old South Arabic)»، في حين يغلب استعمال مصطلح «النقوش اليمينية القديمة» لدى الباحثين العرب. وقد تبين أنّ لغتها تشمل أربع مجموعات كبرى: سبئية ومعينية وحضرمية وقتبانية^(٤)، وهي عند بعضهم لغات، وعند آخرين لهجات، وهو المذهب الذي نرجّحه لأنّ الفروق اللغوية بينها أقلّ - كما

(٤) يُضيف بعضهم «الأوسانية» و«المهرمية» و«الردمانية»، والصحيح أنّ الأولى قتبانية وأنّ الآخرين سبئتان.

سنرى - من أن تجعلها لغات يستقل بعضها عن بعض. وجعلهم ازدياد عدد النقوش المنشورة يقدمون على إصدار دراسات مفصلة للغتها ومحتواها، فصدر في المجال النحويّ كتاب بالألمانية لـ (M.Höfner) (١٩٤٣) وكتابان آخران بالإنكليزية لـ (A.F.Beeston) (١٩٦٢ و ١٩٨٤)^(٥)، وصدر في المجال المعجمي معجمان للسبئية (المعجم السبئي ١٩٨٢ و معجم (Biella) في العام نفسه) وثالث للقتبانية (Ricks 1989) ورابع للمعينية (Arbash 1991)^(٦). ويلاحظ المرء أنّ الجمهرة الكبرى من النقوش يتقاسمها ضربان، أحدهما: هو النقوش النذرية التي تتحدث عن تقديم معينة للآلهة حمداً لما وهبت وأعطت؛ أو شكراً على الرعاية والعناية؛ أو وفاءً لنذرٍ، والآخر: هو نقوش البناء التي تصف أعمال البناء أو الترميم أو التجديد للسدود والآبار والقنوات والصحاريج والأبراج وسواها، وسنورد لاحقاً أمثلة لكلا الضربين^(٧). أمّا الأحداث والوقائع التاريخية، وكذلك المسائل الدينية فإنها تذكر غالباً في تضاعيف النقوش من شتى الأضراب، لأننا لا نجد هنا حوليات تاريخية على نمط حوليات الملوك الآشوريين والبابليين، أو ملاحم دينية كتلك التي نجدها في النصوص الأكديّة والأوغاريتية.

-خطها:

وقد حاول بعض المستشرقين أن يجدوا للخط العربي الجنوبي - الذي

(٥) نشر خالد إسماعيل ترجمة لكتاب Beeston الأول عام ١٩٩٢، ونشر صاحب هذا البحث ترجمة لكتابه الثاني عام ١٩٩٥.

(٦) المعجم السبئي ثلاثي اللغات (بالإنكليزية والفرنسية والعربية)، ومعجم Biella و Ricks بالإنكليزية، ومعجم Arbash بالفرنسية.

(٧) انظر بحث Ryckmans 1964 عن الضرب الأول وبحث Avanzini عن الثاني في مسرد المراجع.

يطابق الخط العربي في عدد حروفه وأصواته ويزيد عليه بحرف واحد يُسمّى السين الثالثة - أصلاً في بعض الخطوط السامية المستعملة في الكتابة السينائية القديمة (proto-sinaitic) أو في كتابة جبيل المقطعية (Byblos syllabary) دون أن يُقدّموا دليلاً يثبت ذلك، ولذا نستطيع القول إنه من ابتكار اليمينيين القدماء حتى يثبت العكس. ويتألف هذا الخط - الذي كُتبت به أيضاً النقوش العربية الشمالية والنقوش الحبشية - من حروف صامتة (consonants) فحسب لا يتصل بعضها ببعض البتة^(٨)، ولا يرد فيها حروف صوائت (vowels) إلا إذا استثنينا جواز استعمال حرفي الواو والياء استعمال الصوائت تارةً واستعمال الصوائت تارةً أخرى، ولا يوجد فيها علامة للفتحة الطويلة التي يسميها المتقدمون الألف، وقد أشار الهمداني إلى ذلك فقال: «وكانوا يطرحون الألف إذا كانت بوسط الكلمة مثل ألف (همدان) وألف (رثام) فيكتبون: رثم و: همدن، وكذلك تبع كتاب المصاحف في رسم الحروف في مثل: الرحمن وألف (إنسان)»^(٩)، وينطبق كلامه هذا - استناداً إلى النقوش - على الألف في آخر الكلمة أيضاً، أما الألف في أولها فهي همزة القطع وجوباً لأن همزة الوصل لا ترد في النقوش إطلاقاً. ويشيع إدغام النون في الحرف الصامت الذي يليها فينتج عنه تضعيف في النطق، نحو: kdt أي Kiddat المنقلبة عن «كندة»، و: ns' أو s' «إنس، إنسان»، و: bnt أو bt «بنت»، و: ntt' أو tt' «أنثى». كما أننا نجد شواهد لإدغام الدال فيما يليها تاءً أو ثاءً في ثلاثٍ من صيغ الأعداد هي: ht' «واحدة» (المنقلبة عن hdt')، و: sdt أو stt «سته» و: sdt أو st «ست»، و: sdtty

(٨) يُستثنى من ذلك اتصالها في كتابات الـ«مونوغرام»، وانظر صورةً لنقشٍ مكتوبٍ بالمُسند في نهاية هذا البحث.

(٩) الهمداني، الإكليل: ج ٨، تحقيق نبيه أمين فارس، بيروت ١٩٤٠، ص ١٩٦.

أو «ستون» sty، وإذا توالى صامتان من جنس واحد فعلينا أن نفترض النطق بحركة تفصل بينهما. ويلجأ العاملون في تععيد لغة هذه النقوش وفي فهم نصوصها إلى المقارنة بالفصحى وباللهجات اليمينية بما فيها من لهجات المهرة وسوقطرة وباللغات السامية - ولاسيما في الحبشة - لتذليل الصعوبة الناشئة عن خلو الخط من الصوائت - أي الحركات - الطويلة والقصيرة معاً، فإذا أضفنا إلى هذا صعوبتين أخريين هما صوغ نقوش المسند - غالباً - بضمائر الغيبة، وما فيها من نقص ناتج عن التلف أو الطمس أدركنا أن القواعد المستنبطة منها تستند - إلى درجة معينة - إلى التخمين والافتراض، زد على ذلك أن قسماً لا يستهان به من النقوش المنشورة هو من النقوش القصار أو المخربشات (Graffiti) أو القصاصات (Fragments) التي لا تتضمن غالباً سوى أسماء الأعلام وبعض الألفاظ المكررة؛ مما يعني أنها قليلة الفائدة في المجالين اللغوي والتاريخي.

-مجموعاتها:

وما تزال معظم البحوث النحوية مقصورةً على السبئية وحدها لقلّة النقوش المنشورة غيرها، ولذا تُلحَق قواعد المعينية والحضرية والقبتانية بشكلٍ مجملٍ بتلك البحوث. ولعلّ كثرة النقوش السبئية ترجع إلى أنّ السبئية ظلت تستعمل دون انقطاع زمناً طويلاً يزيد على اثني عشر قرناً، فأقدم نقوشها يعود إلى القرن السابع ق.م أو إلى حقبةٍ أسبق منه قليلاً، في حين يرجع أحدثها إلى منتصف القرن السادس الميلادي، وأدّى ذلك إلى حدوث تغييرات لغوية ونحوية يمكن تمييزها، مما جعل الباحثين يوزعون النقوش على ثلاث مراحل زمنية تمثل ثلاثة عصور لغوية: المرحلة المبكرة حتى ميلاد المسيح عليه السلام (وهي السبئية القديمة)، ومن سماتها أن بعض نقوشها مكتوب بطريقة «خط

المحراث (boustrophedon)» أي بالتناوب؛ فيكون اتجاه الكتابة من اليمين إلى الشمال ثم من الشمال إلى اليمين مما يؤدي إلى انعكاس الاتجاه في بعض الحروف كي يوافق اتجاه الخط، والمرحلة الوسطى - وإليها يعود معظم النقوش - حتى أوائل القرن الرابع (وهي السبئية الوسيطة)، والمرحلة الحديثة حتى نهاية العهد بها (وهي السبئية المتأخرة).

وتنتشر هذه النقوش - التي تجاوز عدد المنشور منها خمسة آلاف - في رقعة واسعة من اليمن القديم، في حين ينحصر وجود أخواتها الثلاث في مواقع قليلة، فقد عُثر على معظم النقوش المعينية في أطلال العاصمة (qmw) «خربة معين» حالياً و«براقش»، فضلاً عن «ديدان» (العلا) مركز المعينين التجاري في شمالي الحجاز، ويرجع زمن أحدثها إلى القرن الثاني ق.م. أما النقوش القتبائية فأكثرها من وادي بيحان ووادي حريب المتاخم له من الغرب ووادي مرخة شرقي بيحان، ويمتدّ زمنها إلى أواخر القرن الثاني للميلاد. وأما النقوش الحضرمية فقد عُثر على معظمها في شبة عاصمة دولة حضرموت وفي مواقع أخرى هي «العقلة» و«نقب الهجر» و«حصن الغراب» و«خور روري» و«ريون»، ويعود أحدثها إلى أواخر القرن الثالث للميلاد.

- النظام الصرفي للسبئية:

وإذا كان النظام الصرفي في اللغة يُمثل عمودها الفقري فعلينا أن نقدم عرضاً مجملًا لأهم عناصره في السبئية كي نقارن بعد ذلك بينها وبين أخواتها، ثم بين لغة النقوش والفصحى:

١ - الفعل والمصدر والمشتقات:

أ- فالصيغ الفعلية تُشير إلى استعمال الأوزان: f1 فعل (الثلاثي) و: فعَل

و: فاعل، نحو: kwn «ساعد، ناصر»، و: stf¹ استفعل، نحو: stm¹ «استعان»،
و: tf¹ تفعل و: تفاعل، نحو: tsbt «تصارع» و: تفعل - بأربع فتحات -
المعروف في الحبشية، و: ft¹ افتعل، نحو: ktrb «التزم»، و: hf¹ الذي يقابل
وزن السببية أفعل في الفصحى^(١١). ولا تختلف صيغ المصدر - من حيث
الكتابة - عن صيغ أفعالها، إلا إذا كانت مختومة بالتاء، نحو: dwt «هجمة»
(من فعل: dw «عدا، هجم»)، غير أن النون تلحق بها أحياناً.

ب- ويتصرف الماضي كما يلي: f¹ للغائب، f¹t للغائبة، f¹ly للمثنى الذكر،
f¹ly للمثنى المؤنث (والياء فيهما تقابل ألف التثنية)، f¹lw للغائبين، f¹ln
للمثبات. ويحتفظ الماضي الناقص بحرف العلة، نحو: bny «بنى» و: tw «أتى».

ج- وللمضارع تصريفان؛ أحدهما يسمونه البسيط أو المجرد، وهو يشبه
نظيره المجزوم أو المنصوب في الفصحى، وإليك صيغته: yf¹ للغائب، tf¹
للمثبات، yf¹ly للمثنى الذكر، tf¹ly للمثنى المؤنث (والياء فيهما تقابل ألف
التثنية)، yf¹lw للغائبين، yf¹ln للمثبات^(١٢). والآخر يسمونه المنون أو المنتهي
بالنون، وهو يشبه المضارع المؤكد بالنون في الفصحى، وهذه صيغته: yf¹ln
للمثبات، tf¹ln للغائبة، yf¹lnn للمثنى الذكر، tf¹lnn للمثنى المؤنث، yf¹lnn
للمثبات، yf¹lnn للغائبين^(١٣). ويلاحظ أن واو الفعل المثال تحذف من صيغتي

(١٠) وهو معروف في الفصحى، نحو: هراق و: أراق، وذكره الهمداني فقال: «وقد تبدل جُميرُ
الهَاءِ مكانَ الهَمْزَةِ، وقد يفعل ذاك العرب» (الهمداني، الإكليل: ج ٢، تحقيق محمد بن علي
الأكوع، بغداد ١٩٨٠، ص ١٤٤)

(١١) ليس لدينا شواهد مؤكدة لصيغتي التأنيث من المثنى والجمع.

(١٢) تماثل الصيغ كتابية لا يعني تطابقها نطقاً، غير أن التطابق التام ممكن - كما هي الحال في
الفصحى - لأنَّ السِّيَاقَ هو الذي يُجَدِّدُ المراد؛ نحو: أنتِ تَسْعَيْنَ (للمخاطبة) و: أنتنَّ
تَسْعَيْنَ (للمخاطبات)، وكذلك: أنتم تَدْعُونَ و: أنتنَّ تَدْعُونَ، ولكن الإعراب مختلف!

مضارعه، نحو: wrd < yrd «وَرَدَ، يَرِدُ»؛ ومصدره، نحو: qht «أَمَرَ» (من الفعل: wqh «أَمَرَ»).

د- ولا توجد شواهد مؤكدة لاستعمال فعل الأمر بسبب أسلوب الصياغة الذي أشرنا إليه، وينوب عنه المضارع مصدرًا باللام، نحو: ly't 'dy «ليأتِ إلى».

ه- وأوزان اسمي الفاعل والمفعول مماثلة لنظائرها في الفصحى، فوزن اسم الفاعل من الثلاثي هو f'1 (فاعِل)، ومن المزيد بزيادة الميم في أوّله، نحو: mhnkr «مُحَرَّب» و mtrḥm «مُتَرَحِّم»، ولا سم المفعول من الثلاثي وزنان هما: f'1 (فَعِيل)، نحو: 'hd «أَخِيذ، أُسِير»، و: mf'1 (مَفْعُول). وتتصدر الميم اسم المفعول من المزيد (نحو: msnd «مُسْنَد») وأسماء الزمان (نحو: mw'd «موعد»، و: mwld مولد) والمكان (نحو: m'hd «مَأْخِذ، حَاجِز لَضَبْطِ السَّيْلِ»، و: mqbr «مَقْبَرَة») والآلة (نحو: mqtr مقطرة أي: مجمرة للبخور).

٢- الاسم:

أ- تذكيره وتأنيثه: يؤنث الاسم بالتاء الزيادة في آخره، نحو: mlkt «مَلِكَةٌ»، ولكنه يخلو منها إذا كان خاصاً بال مؤنث، نحو: m' «أُمٌّ» و: hyd «حَائِضٌ»، أو لم يكن له مذكرٌ من لفظه، نحو: rgl «رِجْلٌ» و: nfs «نَفْسٌ».

ب- إفراده وجمعه: ليس لجمع المذكر أو المؤنث السالم سوى شواهد قليلة، فمن الأوّل: bnn «بنون» جمعاً لـ bn «ابن»، ومن الثاني: bnt «بنات» جمعاً لـ bnt «بنت»، في حين يشيع جمع التكسير في صيغ متعددة، نحو: f'1 (فِعْلٌ و: فُعْلٌ) و: f'lt (فَعْلَةٌ) و: f'lt' (أَفْعَلَةٌ) و: mf'1 (مَفَاعِلٌ) و: f'ln (فُعْلَانٌ)، غير أن أكثرها استعمالاً f'1 و: f'wl اللتين تقابلان الصيغ: أفعال و: أَفْعُلٌ و: فُعُولٌ في الفصحى^(١٣).

(١٣) وقد تقابلان صيغتي: أَفْعُولٌ و: فُعُولٌ في اللهجة اليمنية المعاصرة، انظر: بيستون، قواعد =

ج- تنكيره وتعريفه: ينتهي الاسم النكرة بإحدى أداتي التنكير، وهما حرف الميم - أو «التميم» الذي يقابل التنوين - في حالات المفرد وجمع التكسير وجمع المؤنث السالم، نحو: ṣlmm «تمثال»، وحرف النون في المثني وجمع المذكر السالم، نحو: ṣlmm «تمثالان». أما أداة التعريف فلا تتصدر الاسم بل تلحق - كأداة التنكير - بآخره، وهي النون مع المفرد وجمع التكسير وجمع المؤنث السالم، نحو: ṣlmm «التمثال/ التماثيل»^(١٤)، واللاحقة -nhn مع المثني وجمع المذكر السالم، نحو: ṣ'bnhn «القبيلتان، الشعبان».

٣- الضمائر:

أما المنفصلة منها فهي: 'n «أنا» للمتكلم، و: 't «أنت» للمخاطب، وهما نادرا الاستعمال، و ضمائر الغيبة هي: 'hw و 'h «هو»، و: 'hy و 'h «هي»، و: hmy «هما» للمثنى مذكراً ومؤنثاً، و: hmw «همو»، و: hn «هن». وأما الضمائر المتصلة فتكاد صيغها تطابق نظائرها المنفصلة: hw- للغائب والغائبة كليهما، و: hmy - للمثنى مذكراً ومؤنثاً، و: hmw- للغائبين، و: hn- للغائبات. ولا نعرف شواهد لضمير المتكلم إلا في أسماء الأعلام المؤنثة المركبة، نحو: Hmnsr «حماني نسر»^(١٥).

= النقوش العربية الجنوبية، ترجمة رفعت هزيم، ص ٤٧، و: الأفعال: لإسماعيل بن علي الأكوغ، في: الإكليل، العدد الثاني، صنعاء ١٩٨٠، ص ٩-٣٠.

(١٤) فتتطابق بذلك صيغتا المفرد المعرفة والمثنى النكرة من حيث الكتابة، وإن كنا نفترض أنهما لا تتطابقان نطقاً، ولكن السياق الواضح هو الفيصل في تحديد المراد، انظر: بيستون، قواعد النقوش ص ٥١.

(١٥) ثمة صيغ أخرى للضمائر المنفصلة والمتصلة ولكنها نادرة الاستعمال، انظر: بيستون، ص ٦٨-٧١.

٤ - أسماء الإشارة:

وهي ضربان، أحدهما للإشارة إلى القريب، وهذه صيغته: dn «هذا»، و: dt «هذه»، و: dyn «هذان»، و: ln «هؤلاء» للذكور، و: lt «هؤلاء» للإناث؛ والآخر يُشار به إلى البعيد، فإن كان في حالة الرفع فصيغته هي صيغ الضمائر المنفصلة نفسها، وإن كان في حالتي النصب والجر فهذه صيغته: hwt للغائب (نحو: bhwt wrhn «في ذلك الشهر»)، و: hyt للغائبة، و: hmyt للمثنى مذكراً ومؤنثاً، و: hmt لجمع الذكور، و: hnt لجمع الإناث.

٥ - الأسماء الموصولة:

وصيغها هي: d «ذو» للمفرد المذكر، و: dt «ذات» للمفرد المؤنث، (وهما تماثلان ما يناظرهما في لهجة طيء)، و: dy للمثنى المذكر، و: dty للمثنى المؤنث، و: ly لجمع الذكور^(١٦)، و: lt «اللاتي» لجمع الإناث. ويُضاف إلى ذلك الاسمان المشتركان المتضمنان معنى الشرط: mn «مَنْ» للعاقل، و: mhn «ما، مهما» لغير العاقل.

٦ - ظروف الزمان والمكان:

وأهمها: ywm «يوم، عندما، حيناً»، و: byn أو bn «بين» و: tbt أو tbtty «تحت»، و: qdm أو qdmy «قدّام» (وقد تتصدّرهما الباء: bqdm «مِن قَبْل»)، و: b'd أو b'dn «بعد»، و: tr' أو: b'tr «إِثْر، بعد»، و: qbly أو lqbl «قَبْل، مقابل، أمام»، و: hwl «حَوْل»، و: m «مع»، و: br «جَهة كذا»، و: hg أو hgn «وفقاً ل، طبقاً ل».

(١٦) صيغة «الألى» في الفصحى لكلا الجنسين.

٧- حروف الجرّ: وهي:

أ- الباء: وتقابل الباء و«في» (wb 'nhlhw «وفي بساتينه»)، وتستعمل للتعديّة إلى المفعول، وتأتي أيضاً بمعنى المصاحبة (w'tw bslm «وأتى بسلام»)، والوساطة والاستعانة (brd' «بمساعدة»)، والاستغاثة (في آخر النقش).

ب- اللام: وتقابل اللام و«إلى» في الدلالة على الزمان والمكان، وتأتي بمعنى المِلْكِيَّة (l'lmqh «للإله المقه»).

ج- الكاف: بمعنى «مثل» (k'hhd «كرجلٍ واحدٍ»).

د- d أو dy: بمعنى «حتى» في الدلالة على الزمان والمكان، وتشبه صيغة «عتى» الهذليّة، وتأتي أيضاً بمعنى «في» (dy (byth «في بيته»).

ه- ln: بمعنى «من» في نقوش المرحلة المبكرة، ويغلب أن تليها d أو dy لتحديد ابتداء الغاية - زماناً أو مكاناً - وانتهائها؛ أي: من كذا... إلى كذا، ثم تحلّ bn محلها (أما mn فترد في النقوش الهرميّة فقط).

و- l أو ly: وتقابل «على».

٨- حروف العطف:

هي الواو (التي تستعمل أيضاً للدلالة على الاستئناف والاستدراك والتخيير)، والفاء للسببيّة، و«أو» للتخيير.

٩- حروف النفي:

هي: l و: d (أما lm «لم») فلا ترد إلا في النقوش الهرميّة).

١٠- الأعداد:

تكاد تطابق في صيغها وفي استعمالها ما يناظرها في الفصحى، فلكل عددٍ صيغتان؛ إحداهما مذكّرة والأخرى مؤنّثة تنتهي بالتاء (نحو: hhd «واحدٌ»،

و:ht' («واحدة»)، وتخالف الأعداد من ٣ إلى ١٠ ومن ١٣ إلى ١٩ المعدود في التذكير والتأنيث، نحو: 'rb't 'nmr «أربعة نمور»، أمّا ألفاظ العقود فتصاغ بإضافة الياء إلى آخر صيغ الآحاد المذكّرة، نحو: tmny «ثمانون»^(١٧).

- نصوص وشروح:

ولا يخفى أنّ معرفة قواعد اللغة، وكذلك ظواهرها اللغوية والصرفية والنحوية لا تكفي لتقديم صورة واضحة لها ما لم تقترن بنصوص مكتوبة بها، ولذا سنورد هنا خمسة من النقوش النذرية ونقوش البناء، يمثل اثنان منها (RES 3913+ CIH 2) السبئية، ويمثل ثالثها (CIAS 47.11/o) القتبانية، ورابعها (RES 4731) المعينية، وخامسها (RES 4698) الحضرمية، وهي مدوّنة بطريقة النقحرة transliteration ثم منقولة إلى العربية الفصحى^(١٨):

1) H'n 'šw' wbnyhwr Krb'tt w 2) H̄ywm w-L̄h̄y'tt b̄nw Ydm
h̄qnyw 3) š̄ymhm̄w T'lb̄ r̄ymm b'1 tr't dn 4) š̄lm̄n h̄gn wqh T'lb̄
'dm̄hw b̄ny 5) Ydm b̄ms'lh̄w lwfyhm̄w wwfy 6) 'wld h̄mrhm̄w T'lb̄
r̄ymm 'dy by 7) t b̄ny Ydm wwfy 'dm̄hm̄w wh̄mw fh̄ 8) mdw hl
wm̄qm T'lb̄ r̄ymm b-dt 9) hwfyhm̄w b̄kl 'ml' stml'w b 10) 'mhw w-
bdt hwfyhm̄w bn kl ms 11) b' sb'w lšw'n mr'h̄mw 'Lhn nh 12) fn
bn Bt' w-Hmdn wl s'dhm̄w T 13) 'lb̄ fr' dt' whrf 'dy 'r̄dh 14) mw
wmš̄ymth̄mw wl s'dhm̄w T'lb̄ 15) 'fql w'tmr šdq̄m 'dy 'r̄dh̄mw wm
16) š̄ymth̄mw wl s'dhm̄w h̄zy 'mr'h̄mw b 17) ny Hmdn wš'b̄hm̄w
h̄šdm̄ wwđ' wtb 18) r wdr'n kl ḏrh̄mw wšn'h̄mw wdyš̄sy 19) n
b̄hm̄w b-T'lb̄ r̄ymm (CIH 2)

(١٧) قد تتعدّد صيغ العدد أحياناً لأنّ النقوش تعود إلى أزمنة وأمكنة مختلفة، انظر التفصيل في: بيستون، ص ٦٠-٦٦.

(١٨) انظر بشأن القراءة جدول الرموز المستعملة في النقحرة في نهاية البحث، أمّا الصياغة بالعربية فهي تكاد تكون مطابقة لأسلوب النقش.

١) «هعن أشوع» وأبناؤه «كرب عثت» و ٢) «حيوم» و«لحي عثت» بنو «يدم» قدموا ٣) لإلههم الحامي تألب ريام سيّد [معبد] ترعة هذا ٤) التمثال طبقاً لأمر تألب أتباعه بني ٥) «يدم» بإجاءٍ منه لسلامتهم وسلامة ٦) أولادٍ وهبهم تألب ريام أسرة ٧) بني «يدم» وسلامة أتباعهم، فحمدوا ٨) قوّة وقدرة تألب ريام لأنه ٩) منحهم كلّ عونٍ طلبوه ١٠) منه، ولأنه نجّاهم من كل قتالٍ ١١) قاتلوا لنصرة سيّدهم «علهان نهفان» ١٢) من «بتع» و«همدان». وليمنحهم تألب ١٣) بواكير الغلال في الربيع والخريف في أرضهم ١٤) و[أرض] أتباعهم، وليمنحهم تألب ١٥) حبوباً وثماراً ممتازة في أرضهم وأرض ١٦) أتباعهم، وليمنحهم حظوة أسيادهم بني ١٧) «همدان» وقبيلتهم «حاشد»، وذللّ ودمار ١٨) وإخضاع كل أعدائهم وشائئهم ومنّ يحقد ١٩) عليهم. [نستجير] بتألب ريام».

1) Lhy'tt sṭrn kbr Fyšn bn 2) y whwtr wšqr ḥrtnhn dt 3) šltn klwtn lnhlyhw mṭrt 4) wmwḥrh b-'Ttr wb-'Lmqh. (RES 3913)

١) «لحي عثت سطران» كبير [قبيلة] فيشان بني ٢) الفئتين اللتين تخصان ٣) الحقول المدرّجة الثلاثة، فوضع أساسـ[هما] وأكملـ[هما]، لـ[سقاية] اثنين من بساتينه ٤) [نستجير] بـ عشر وبـ المقه .

1) Br't dt byt Rtd'l bn šḥz sq 2) nyt dt ḥmym w'Ttr ygl šlmt d 3) hbn ḥgn tkrbts lwfys wwf 4) y 'dns wmqms wqnys qzrt 5) 'M drbhḥw ršwt 'M ddynt 6) b-Wrw'l Ġyln Yhn'm (CIAS 47.11/o1).

١) «برأت» من أسرة «رثدال» من قبيلة «شحر» ٢) قدّمت لـ[الإلهة] ذات حميم و[الإله] عشر يغل تمثلاً ٣) برونزياً طبقاً لنذرهما، لسلامتها وسلامة ٤) أتباعها وممتلكاتها وخدمها، ٥) [حينما كانت] خازنةً لـ[الإله] عم ذي ربح

وكاهنة ل[الإله] عم ذي ديمة ٦) [أستجير] ب[الملك] وروإل غيلان يهنعم .

1) 'Ws'l dhhfms šw' dgrbm wd 2) ršfm snbt wdfir b'rs zrb[.]
ywm 3) bny kl 'hl wmhfddt mhđn b-'Ttr 4) dgrb wd ršf w-'Rnyd' w-
Wd (RES 4731).

(١) «أوس إل» من عشيرة «خهفم» سادن معبدني [الإله] ٢) حَفَرَ وَبَلَّطَ
بئرُه حينما ٣) بنى كلَّ صهاريج وأبراج الموقع. [نستجير] ب[الآلهة] عشر ٤) و
أرن يدع وود.

1)Yd'l ben mlk Hđrmt bn Yd'b 2) Ğyln mlk Hđrmt bn
'Mynm sqny 3) wtl' mr's Syn d'lm nsr šlf' 4)hn nsr 'tw hs bn š'mt
wqš' (RES 4698).

(١) يدع إل بين ملك حضر موت بن يدع أب ٢) غيلان ملك حضر موت بن
أمينم قَدَمَ ٣) ونذرَ لسيده «سين ذو ألم» منطقة صلفعهن ٤) التي أتته بالشراء
وجعلها وقفاً له».

- بناء النقوش:

وهكذا يغدو بناء النقوش واضحاً لأن هذه النقوش الخمسة تمثل - من
حيث بناؤها - ألوف النقوش مهما كانت لهجتها، فهي تتضمن غالباً عناصر
ستة تجري عادةً على هذا الترتيب: اسم صاحب النقش: وهو رجل أو امرأة،
وقد يشترك فيه اثنان أو أكثر كالأب وأبنائه، فبيان نسبه: فهو فلان بن فلان من
العشيرة أو القبيلة الفلانية، فوظيفته: وهو ملك أو قَيْلٍ أو شخصٌ ذو مكانةٍ
عالية، فالغرض منه: فإن كان النقش نذرياً فهو إهداء تمثالٍ أو تقديم قربان- أو
غير ذلك- للإله، وإن كان من نقوش البناء فهو حفر بئرٍ أو إنشاء سدٍّ أو بناء
صهريج...، فشكر الإله لما قدّمه لصاحب النقش، ورجاؤه الحماية والعون،

والخاتمة: وهي الاستجارة والاستغاثة والاستعانة بالإله - أو بمجموعة من الآلهة - أو بالملك، وتصاغ من الباء متبوعاً باسم المستجار به^(١٩).

- تصنيفها اللغوي واصلتها بالفصحى:

ونستطيع الآن بيان الرأي في مسألتين هامتين:

إحدهما - وقد أشرنا إليها من قبل - هي تصنيف المجموعات الأربع من النقوش - أي: السبئية والمعينية والقبتائية والحضرمية - من حيث لغتها: أهي لغات أم لهجات للغة واحدة؟ إنَّ الفارق الأساسي بين السبئية والمجموعات الثلاث في المجال الصوتي هو في استعمال السبئية الهاء في ضمائر الغيبة وفي وزن السبئية وكذلك في صيغ أسماء الإشارة للبعيد، في حين تحل السين محلها في غير السبئية، وإنَّ كُنَّا نجد هناك نقوشاً تتعاقب فيها الهاء والسين أحياناً. أمَّا في المجال الصرفي فإنَّ خلو الخط من الحركات لا يُظهر فروقاً واضحة بينها إلا في مسألتين اثنتين؛ هما انفراد السبئية بصيغة المضارع المنتهي بالنون وبصيغة المصدر الذي تلحق به النون^(٢٠)، وأما في المجال المعجمي فإنَّ جمهرة الألفاظ في المجموعات الأربع مشتركة، وإنَّ كانت كل منها تنفرد بألفاظ خاصة بها، زد على ذلك وجود ظواهر لغوية مشتركة بينها جميعها كاشتراكها في معظم الصيغ لأداة التعريف وأداة التنكير . فهل تكفي هذه الفروق اللغوية الطفيفة بين السبئية وأخواتها الثلاث للزعم أنَّها لغات لا لهجات؟ إنَّ تعليل هذا المذهب عند أصحابه هو أنَّهم يجعلونها لغات لأنَّ كلاً منها تمثل إحدى الدول الأربع في اليمن القديم، «ولذا فإننا اليوم نصف الحGalicisch بأنها لهجة إسبانية، في حين

(١٩) قارن بـ 18, p. Avanzini.

(٢٠) انظر: بيستون، قواعد النقوش: ص ١٠٨-١٠٩، و: Stein, p.4.

نجعل البرتغالية - وهي قريبة منها - لغةً مستقلة لأنها تمثل دولة البرتغال»^(٢١).
ويبدو لي ضعف هذا المذهب من عدة وجوه، أولها: أن المعايير اللغوية هي
الفصل في تصنيف اللغات - قديمها وحديثها - وفي تقسيمها وتفرعها، في حين
يستند أصحاب المذهب إلى معيارٍ غير لغويٍّ؛ وثانيها: أن الباحثين المتخصصين
مايزالون يختلفون في تصنيف بعض النقوش ضمن المجموعات الأربع^(٢٢)، فلو
كانت تمثل لغاتٍ لما وقع هذا الخلاف، ولا يجوز إرجاع ذلك إلى أنها مكتوبة
بالخط نفسه لأن لغات كثيرة تشترك في الخط الذي تكتب به دون أن تختلط
إحداها بالأخرى؛ وثالثها: أن دارس السبئية يستطيع - بعد الاطلاع على الفروق
الطفيفة السابق ذكرها - فهم نقوش أخواتها الثلاث بسهولة، ويشهد على ذلك
النقوش غير السبئية المذكورة آنفاً، فما علينا سوى إحلال الهاء محل السين في
صيغ الضمائر المتصلة وفي صيغة الفعلين sqny و snbt فيها لنجد الأمر سهلاً
ميسوراً. ولو قارنا ذلك بالفصيلة السامية مثلاً لوجدنا أن دارس إحدى لغاتها
لا يستطيع فهم أخواتها دون أن يتعلمها لأنها لغات وليست لهجات.

أما المسألة الأخرى فهي تحديد الصلة بين لغة نقوش المسند والفصحى
لأن مذهب المتقدمين في هذا الشأن يدل على أنهم كانوا يتصورون وجود هوةٍ
واسعة تفصل بينهما، وكما جاء ذكره عبّر أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هـ
عن ذلك بعبارته المشهورة: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا
عربيتهم بعربيتنا!»^(٢٣) التي تناقلها أهل اللغة والنحو على مرّ القرون، ولعلها

(٢١) Beeston , p.102.

(٢٢) انظر أمثلة لهذا الخلاف في: Müller , colm. 582-583.

(٢٣) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة ١٩٧٤: ١١/١.

هي التي جعلت باحثين عرباً معاصرين ذائعي الصّيت يرون تارةً أنّ لغة النقوش «بلهجاتها المتعددة تختلف عن اللغة العربية الشمالية - التي هي المقصودة بالعربية عند الإطلاق - اختلافاً جوهرياً أساسياً في القواعد النحوية والمظاهر الصوتية والدلالات المعنوية»^(٢٤)، وينكرون تارةً أخرى عروبتها فيزعمون أنها «مستقلة تمام الاستقلال عن اللغة العربية [الفصحى]... بل إنها ليست من اللغة العربيّة في شيء!»^(٢٥)، ويرون أنّ «تقارب بعض الألفاظ وتشابه بعض القواعد بينهما ليس إلا كتقارب الألفاظ وتشابه القواعد بين عربيتنا الفصحى من ناحية والسريانية والعبرانية من ناحية أخرى...، فاللغة الحميرية [أي لغة نقوش المسند] أقرب إلى اللغة الحبشية القديمة منها إلى اللغة العربية، وهي متأثرة بنحو هذه اللغة الحبشية وصرفها أكثر من تأثرها بنحو عربيتنا الفصحى وصرفها!»^(٢٦) ويقولون: «إنّ للغة الجنوب العربيّة في بناء الأسماء وتصاريف الأفعال والضمائر والمفردات صلة باللغتين الأكديّة والإثيوبيّة، ولا ترتبط في هذه الأمور بلغة الشمال العربيّة لغة القرآن»^(٢٧). غير أننا نجد - إذا استثنينا لهجات منطقة الجنوب الشرقي من الجزيرة العربية كالمهريّة والسقطريّة وأخواتها لأنها كانت ومازالت عسيرةً على الفهم عند العرب، بل عند جيرانهم الأقربين من أبناء جنوبي الجزيرة - أنّ المقارنة بين الفصحى ولغة اليمن القديم المكتوبة كما وصلت إلينا في «نقوش المسند» تنتهي بنا إلى ثلاث نتائج هامة:

(٢٤) الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، ط٣، بيروت ١٩٦٨، ص ٥٢.

(٢٥) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط٧، القاهرة ١٩٧٣، ص ٨٦، ٧٤.

(٢٦) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، القاهرة ١٩٧٢، ص ٨٨، ٨٤.

(٢٧) حتّي، فيليب، وأدورد جرجي وجبرائيل جبّور، تاريخ العرب (مطوّل)، ج١، ط٢ بيروت

- نتائج البحث:

أولاًها: أنّ المجموعات الأربع من نقوش المسند - وهي: السبئية والمعينية والقبتانية والحضرية - تمثل لهجات متقاربة من لغة الكتابة في اليمن القديم لأنّ الفروق اللغوية والصرفية والنحوية بينها طفيفة، فلا يصحّ - لذلك - أن نجعلها لغات متباينة.

والثانية: أنّ المذهب الذي يُنكر عروبة لغة النقوش أو يُباعد بينها وبين الفصحى يُخالف واقعها اللغوي؛ ذلك أنّ هذه اللغة عربية في أصواتها (فالتطابق بينها تام في النظام الصوتي، وإن كانت لغة النقوش تزيد على الفصحى صوتاً واحداً يُعبّر عنه حرفُ السين الثالثة)، مماثلة أو مشابهة للفصحى في كثير من الظواهر الصرفية والنحوية والأسلوبية، وإن كانت بعض أوجه الشبه بينها تخفى أحياناً بسبب خلوّ خط النقوش من حروف الصّوائت، وقلة الشواهد أو ندرتها في بعض الظواهر. ولكن ذلك لا يعني تطابقاً تاماً بينها وبين الفصحى، فثمة ظواهر صوتية ونحوية وألفاظ تنفرد بها أو تشاركها فيها لهجات أخرى في شمالي الجزيرة. وقد يظنّ المرء أنّ الفارق الأساسي بينها هو في الأسلوب - أي في بناء الجملة - لأنّ المطابقة في لغة النقوش بين الفعل وفاعله في الجنس - مذكراً ومؤنثاً - وفي العدد - مفرداً ومثنىً ومجموعاً - تكاد تكون تامّة، يستوي في ذلك تقدّم الفاعل أو تأخّره، وكونه جمعاً للعاقل أو لغيره^(٢٨). ولكن المطابقة ليست غريبة عن الفصحى، فثمة شواهد تؤكد هذه الظاهرة التي وصفها النحاة بأنها رديئة وسمّوها «لغة أكلوني البراغيث» وحاولوا

(٢٨) انظر التفصيل في: بيستون، ص ٢٩-٣٠.

تأويلها كي توافق القواعد النحوية^(٢٩)، وأياً كان الرأي في تلك الشواهد فإن المطابقة - في الفصحى - واضحة حينما يتقدم الفاعل على الفعل؛ أي في الجملة الاسميّة، نحو: الطالبان نجحوا، و: الطالبتان نجحتا، و: الطلاب نجحوا، و: الطالبات نجحن. وينبغي هنا ألا ننسى أن جمهرة نقوش المسند - وكتابات الزبور أيضاً - مصوغة بالأسلوب نفسه، حيث يتقدم المسند إليه في مستهل النقش سابقاً بذلك الفعل والمفعول..

والثالثة: الاشتراك في قدر كبير من الألفاظ، وإن كنا نلاحظ أن المعجم اللغوي للغة النقوش فقير مع أنها ظلت مستعملة بدون انقطاع أكثر من ألف عام، ومردّد ذلك إلى أن استعمالها زمناً طويلاً لم يؤدّ إلى تنوع موضوعاتها وإغناء أساليبها كما هي الحال في الفصحى، ولذا تبدو جمهرة النقوش كأنها نسخ مكرّرة من عددٍ محدودٍ منها لا تكاد تخالفه إلا في أسماء الأشخاص والآلهة والأماكن. فإذا أضفنا إلى ذلك ما ذكرناه من قبل بشأن صوغها بضمائر الغيبة وبما لحق بعددٍ كبير منها من تلفٍ وطمس أدركنا أن الهوة بينها وبين الفصحى واسعة من حيث تنوع الأساليب والثراء اللغوي، مما يعني أن المقارنة بينهما أشبه بالمقارنة بين لغة الأدباء والكتّاب ولغة الموظفين والكتّبة، فإذا تكون نتيجة المقارنة اللغويّة مثلاً بين سيرة طه حسين كما صاغها هو في كتابه الرّائع «الأيام» وسيرته الموجزة المحفوظة في ملفات الطلبة بالأزهر أو بالجامعة المصرية؟

ولا شك أن الآمال معقودة على اكتشاف المزيد من النقوش التي يمكنها أن تغير هذه النتائج قليلاً أو كثيراً.

(٢٩) انظر الظاهرة وشواهدا في: ابن عقيل، شرح الألفية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١٤، القاهرة، ١٩٦٤، ج ١، ص ٤٦٧-٤٧٣.

جدول الرموز المستعملة في النقحرة^(٣٠) transliteration

ص	ṣ	أ	ʾ
ض	ḍ	ث	t
ط	ṭ	ح	ḥ
ظ	ẓ	خ	ḫ
ع	ʿ	ذ	ḏ
غ	ġ	ش	š

(٣٠) النقحرة: هي نقل الحروف الأجنبية إلى ما يطابقها أو يقارنها من الحروف العربية.

المصادر والمراجع

- ابن سلام الجمحي، محمد، طبقات فحول الشعراء: تحقيق محمود محمّد شاكر، القاهرة ١٩٧٤.
- ابن عقيل، بهاء الدين، شرح ألفية ابن مالك: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١٤، القاهرة، ١٩٦٤.
- الأكوغ، إسماعيل بن علي، الأفعال، في: الإكليل، العدد الثاني، صنعاء ١٩٨٠.
- بيستون، ألفرد، قواعد النقوش العربية الجنوبية ، ترجمة رفعت هزيم، الأردن ١٩٩٥.
- حتّي، فيليب، أدورد جرجي، جبرائيل جبّور: تاريخ العرب (مطوّل)، ج ١، ط ٢ بيروت ١٩٥٢.
- حسين، طه، في الأدب الجاهلي، القاهرة ١٩٧٢، ص ٨٤، ٨٨.
- الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، ط ٣، بيروت ١٩٦٨.
- نامي، خليل يحيى، دراسات في اللغة العربيّة، القاهرة ١٩٧٤.
- الهمداني، أبو محمد الحسن بن يعقوب، الإكليل: ج ٢ تحقيق محمّد بن علي الأكوغ، بغداد ١٩٨٠، ج ٨ تحقيق نبيه أمين فارس، بيروت ١٩٤٠.
- وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة: ط ٧، القاهرة ١٩٧٣.

- Avanzini, A.: For a study on the formulary of construction inscriptions, in:
Sayhadica, Festschrift for A.Beeston, Paris 1987, p. 18.
- Beeston, A.F.: Vorislamische Inschriften und vorislamische Sprachen des
Jemen , in: *Jemen , 3000 Jahre Geschichte* , hrsg. von W.
Daum. Wiesbaden 1988 , pp. 102-106.
- Müller, W.W.: Bespr. zu “ G.Garbini: Iscrizioni Sudarabiche ”, in: *OLZ*
73 , 1978 , colm.581-585.
- Ryckmans , J.: *La chronologie des rois de Saba et du-Raydan* , Istanbul
1964.
- Stein, P.: Untersuchungen zur *Phonologie und Morphologie des*
Sabäischen. Leidorf 2003.